

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من سلسلة "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"

الأتقياء الأخفياء

لفضيلة الشيخ: مسعد أنور

رابط المادة : <http://www.way2allah.com/khotab-item-30167.htm>

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه ومن والاه. أما بعد..

فإخوتي في الله، أخواتي في الله إني أحبكم في الله، والله أسأل أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، إخوتي في الله مازال الحديث بنا موصولاً مع الذين يحبهم الله ويحبونه، وهذه هي الحلقة الثانية بعد العشرين في هذه السلسلة المباركة، وقد جعلتها تحت عنوان:

الأتقياء الأخفياء

روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه وعن جميع الصحابة- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي"، يحب العبد الذي طهر قلبه من الغل والحسد، الذي زكى نفسه وطهرها، ويحب عبده الذي يخفي عمله عن أعين الناس -ما استطاع إلى ذلك سبيلاً- ولا يُرائي بعمله أبداً ولا يُسمّع بعمله أبداً، إخفاء العمل يحبه الله عز وجل ويحب أهله.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "رُبَّ أشعثٍ مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره" وفي رواية "ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره" صححه الألباني طوبى للأتقياء الأنقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يُعرفوا، هؤلاء النازلون في العالم كمنزلة القلب في الجسد، هؤلاء الذين يحبهم أهل السماء، ويعرفونهم، ولا يعرفهم أهل الأرض، والعبرة بالقلوب والأديان، لا باللباس والمتاع والأبدان

وقد صح عن نبينا أنه قال: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم -وفي رواية وأموالكم- ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" رواه أبوهريرة في صحيح مسلم.

دخل أعرابي على معاوية -رضي الله عنه- وعلى الأعرابي عباءة رثة، فافتحمت عين معاوية الأعرابي في ثيابه الرثة، فقال الأعرابي لمعاوية -رضي الله عنه- "إن العباءة لا تكلمك، ولكن يكلمك الذي في العباءة" يعني لا تغتر بالمظاهر فإن الله لا يقدم الناس بالصور ولكن بالقلوب والأعمال.

عامر بن سعد بن أبي وقاص ذهب إلى أبيه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وسعد في غنم، قد اعتزل الناس، فلما رآه قال: "أعوذ بالله من شر هذا الراكب" فلما جاء عامر قال: "يا أبتِ أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك، والناس يتنازعون في الملك بالمدينة" ف ضرب سعد صدر ولده عامر، وقال: "اسكت فيني سمعت النبي يقول أن الله عز وجل يحب العبد التقيّ النقيّ الخفيّ".

فيا أخي حاول قدر الإمكان أن تفر من طين الشهرة، من ضجيج الإعلام إذا أردت طريق الخلاص والإخلاص، كن كالجذر للشجرة، به قوامها، به حياتها، ولكنه مستور في باطن الأرض، لا تراه العيون، أو كالأساس في البنيان، لولاه ما ارتفع جدار، ولا قام بناء، ولكن أحداً لا يراه، والله درُّ من قال: "ليس الخمول بعار -ليس إخفاء العمل بعار، كون الناس لا تعرفك هذا لا ينقص من قدرك، المهم أن ربنا يحبك- ليس الخمول بعار على امرئ ذي كمالٍ فليلة القدر تخفى وتلك خير الليالي".

روى البخاري في صحيحه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثٌ رأسه، مغبرٌ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقية كان في الساقية، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يُشفع" رواه أبوهريرة في صحيح البخاري.

هو يعمل لله يصعد المنبر يخطب الجمعة، أو يمسح حمامات المسجد لا تفرق معه، في المقدمة، في الخاتمة، لا تفرق معه؛ المهم أنه يعمل لله، المهم أن يعمل عملاً صالحاً، عرفه الناس، أو لم يعرفوه، اشتهر بين الناس، أو أصبح خاملاً غير مشهور؛ لا تفرق معه، هو يرقب رضا الله عز وجل.

من أقوال العلماء

قال الشافعي رحمه الله: "ينبغي لكل عالم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله، إذ أن كل عمل ظهر للناس -من عمل أو علم- قليلُ النفع في الآخرة" كل شيخ لا بد أن يكون له عمل صالح لا يطلع عليه أحدٌ من البشر، لا يطلع عليه إلا الله؛ لأن كل عمل وعلم ظهر للناس نفعه قليل في الآخرة، هكذا قال الشافعي.

وقال سُفيان الثوري: "إن كل شيء أظهرته من عملك لا تُعده شيئاً لعجزك وعجز أمثالي عن الإخلاص إذا رأنا الناس". وقال سُفيان بن عيينة، وقال أبو حازم: "اكتم حسناتك أكثر وأشد مما تكتم سيئاتك".

سلفنا الصالح كانوا يخفون العمل

ذكر أبو نعيم في الحلية "أن عمر بن عبد العزيز كانت له دُرَاعَةٌ من شعر وغِل، وكان له بيتٌ في جوف بيتٍ يُصلى فيه، ولا يدخل فيه أحد، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط، ولبس الدُرَاعَةَ، ووضع الغِلة في عنقه، ووقف بين يدي الله يصلي، ويكي، ويناجي الله إلى أن يبرق نور الصبح".

وذكر أبو نعيم أيضًا عن حسان ابن أبي سنان، قال: قالت عنه زوجته: " كان حسان يجيء فيدخل في فراشي ويُخادعني، كما تُخادع المرأة صبيها أي يُؤمها، قالت: فإذا علم أي نمت سل نفسه فخرج ثم يقوم فيصلني قال: فقالت له: يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك أرفق بنفسك، قال: اسكني ويحك، يوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا، لا أقوم منها إلا في يوم القيامة" يخفي عمله حتى عن امراته، يخفي قيام ليله عن زوجته هكذا كانوا.

كذا روى الإمام أحمد في الزهد، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير أن رجلاً أتى تميمًا الداري، فقال: "كيف صلاتك بالليل كيف صلاتك بالليل يا تميم؟" فغضب تميم غضبًا شديدًا، فقال: "والله إن ركعة أصلها في جوف الليل أكتُمها، وأسُرُّ بها، أفضل عندي من ألف ركعة أصلها ثم أقصُّها على الناس".

إذن ينبغي علينا أن نخفي العمل قدر الإمكان، كانوا يخفون صلاة قيام الليل حتى عن الزوجات.

كانوا يخفون الصدقة وفي حديث السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله "رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه" رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، وهذا من باب المبالغة فإن كان بعضه قد أخفى الصدقة عن بعضه، فأخفاؤه للصدقة عن غيره من باب أولى.

قال تعالى: " **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ**" البقرة: ٢٧١

زين العابدين -علي ابن الحسين- كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، ويقول: "إن صدقة السر تطفئ غضب الرب"، عن شيبة بن نعام قال: "كان الناس ييخلون زين العابدين -يقولون هذا رجل بخيل- فلما مات زين العابدين وجدوه يثوث أهل مائة بيت " يعول أهل مائة بيت والناس يظنون أنه بخيل لا ينفق على أحد، حتى قال أهل المدينة: "ما فقدنا صدقة السر إلا عندما مات زين العابدين".

ذكر صاحب تاريخ بغداد أن ابن المبارك كان يختلف إلى طرسوس، وكان ينزل الرق في خان، وفي الخان -في الفندق- خادم يخدمه، جاء ابن المبارك مرة فسأل عن الخادم، فقالوا: "سُجن في عشرة آلاف درهم فاستدل على الغريم، وقال: سأقضي الدين عنه حتى يخرج من السجن على شرط، قال: ما هو؟ قال: ألا تخبره، ولا تخبر أحدًا بذلك، إلا من بعد موتي" فدفع وخرج الرجل من السجن، وعلم أن ابن المبارك كان في طرسوس، وخرج فلحقه بالطريق، فلما رآه ابن المبارك أقبل عليه قائلاً: "أين كنت؟ سألت عنك؟ كأنه لا يعرف عن أمره شيئًا، وما علم المدين أن الذي قضى عنه الدين هو ابن المبارك إلا من بعد موته".

كانوا يخفون حتى الصيام، مع إن الصيام عبادة سرية، اسمع ما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة، داود بن أبي هند -اسمع العجب- صام أربعين سنة لم يعلم به أحد، يصوم نوافل، يسر الصوم أربعين سنة حتى زوجته لا تعلم، لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خرازًا يحمل معه غذاءه، من عند زوجته، ويتصدق به في الطريق، ويرجع عشيةً فيفطر

معهم، فيظن أهل السوق أنه أكل في البيت، ويظن أهل البيت أنه أكل في السوق، ووالله ما أكل هنا ولا هناك، صام أربعين وأخفى الصيام حتى عن امرأته.

كانوا يخفون الذكر وقراءة القرآن إبراهيم النخعي "كان إذا قرأ في المصحف فدخل عليه داخل خبأ المصحف" هذا ذكره أبو نعيم في الحلية.

الثوري يقول: "البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذي لله في العام مرة، فهو كثير، فهو كثير" ما كانوا يتصنعون البكاء أمام الناس، ويعصرون أعينهم، ما كانوا يفعلون هذا أبداً.

بل اسمع العجب أيوب السخيتاني كان إذا وعظ فَرَقَّ، فَرَقَّ من الرياء لم يكن يحملق، ويعصر في عينيه، ويتكلف في البكاء، نعم؛ إذا غلبتك الدموع فلا تثريب عليك، إنما أنكر على الذي يتكلف، اسمع إلى هدي السلف الصالح أيوب السخيتاني كان إذا وعظ فَرَقَّ يعني قلبه، فرق يعني خاف من الرياء، فيمسح وجهه ويقول: **يا سبحان الله ما أشد الزكام** عندما تدمع عينه، يوهم الناس أن الدموع بسبب الزكام، لا بسبب رقة القلب، هكذا كانوا.

الحسن البصري وعظ موعظةً فنجب رجل قال: **"إن كان هذا لله فقد شهرت نفسك وإن كان لغير الله -يعني أنت مُراءٍ- فقد أهلكت نفسك"**.

يا إخواني راقبوا الله، راقبوا الله في أعمالكم، راقبوا الله في حركاتكم، انسوا الناس، انسوهم تماماً، الناس لن يقدموا ولن يؤخروا، الذي يُقدم ويؤخر هو رب العالمين.

ابن سيرين كان يتحدث بالنهار ويضحك فإذا جاء الليل بكى كأنما قتل أهل قريةٍ رحمه الله، وذكر أبو نعيم في الحلية، قال محمد بن واسع: **"أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه بجوار رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلل الرجل ما تحت خده من الدموع، ولا تشعر به امرأته"** يا لجمال إخفاء العمل! ولقد أدركت رجلاً يقوم أحدهم في الصف، تسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي بجواره" ليس نحيباً وصراخاً في الصلاة، "نعم إذا غلبت فلا تثريب عليك إنما جاهد نفسك أن تخفي عملك" هكذا قال محمد ابن واسع.

بل كان بعضهم يسرُّ بالتصانيف العلمية، الإمام أبو الحسن المواردي قيل: أنه لم يُظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، كتب الكتب كلها، وأخفاها، قال: وجمعها في موضعٍ فلما دنت وفاته، قال لمن يثق به: "لقد صنفت التصانيف، وكتبت الكتب، وهي في مكان كذا، ولم أظهرها لأنني لم أجد نيتي خالصة، فإذا عانيتُ الموت ووقعت في النزاع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضتُ على يدك وعصرتُها، فاعلم أن الله لم يقبل مني شيئاً، فاعمد إلى كتبي وألق بها في دجله -ارمها في البحر- وإذا بسطت يدي ولم أقبض على يدك، فاعلم أنها قُبِلت، وأني قد ظفرتُ بما كنت أرجوه من الله عز وجل" وحدث عند موته ما يرحوه فظهرت كتبه من بعده، هكذا قال السُّبكي في طبقات الشافعي الكبرى.

هكذا كانوا جميعًا يفرون من الشهرة، كانوا جميعًا يخفون العمل، كانوا جميعًا أتقياء أنقياء أخفياء، ليسوا من أهل الرياء، ليسوا من أهل السمعة، لا يباليون بالناس، ليس في أدمغتهم أبدًا الناس، إنما يراقبون الله عز وجل في السر والعلن، وهؤلاء يحبهم الله لأن الله يحب المخلصين، قال تعالى: **"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ"** البينة: ٥ .

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من المخلصين، من الأتقياء، من الأنقياء، من الأخفياء، الذين يحبهم الله عز وجل ويحبونه، اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عملٍ يقربنا إلى حبك. أحبكم في الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على موقع الطريق إلى الله في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>